زواج زينب بنت جحش وإبطال عادة التبني

الخطبة الأولى **١٤٠٨/٥/٢هـ**

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

أما بعد: فلقد كان لزواج الرسول صلى الله عليه وسلم من أم المؤمنين السيدة زينب بنت جحش الأسدية رضي الله عنها ابنة عمته أميمة بنت عبد المطلب شأن عظيم عند الناس منذ حصل إلى يومنا هذا . مع أن حقيقة هذا الزواج وما كان من أمره قد وردت في القرآن الكريم في آيات محكمات واضحة الدلالة وضوح الشمس في رابعة النهار ، ولكن نظراً للشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام واستقرت في نفوس بعض المسلمين وجب إيراد الحق على مسامع المسلمين للدفاع عن عرض الرسول محمد صلى الله عليه وسلم. ففي هذا الزواج ساوى الإسلام بين الحر والعبد ، فلم يَعُدِ العبدُ يشعر بعبوديته ، ولا الرقيقُ بِرِقِّهِ ، وقضى على الخيلاء والكبرياء، إذ أن العرب كانوا ولا زالوا يأنفون من أن يختلطوا بِأَدْعِيَائِهِم اختلاطَ مُصَاهرةٍ أو نَسَبٍ ، وفي هذا الزواج قضى الإسلام على عادات من عادات الجاهلية ومنها التَّبَنِّي وما يترتب عليه ، حيث كان الرجل منهم يَتَبَنَّى ولداً لم يكن من صلبه فيتخذه ابناً له ، ويعطيه حقوقَ الْبُنُوَّةِ الْمُطْلَقَةِ ، فيَرِث ويُورَث ، ولا يَتَزَوَّج زوجَتَهُ من بعده ولا يؤثر أحداً عليه ، فجاء الإسلام العظيم بتغيير ة وإبطال هذه العادة الجاهلية عادةِ التَّبَنِّي وإن كانت لا تزال في مجتمع المسلمين اليوم وتَجَدَّدَ أَمْرُهَا نسأل الله أن يخلص منها من وقع فيها ويخلص المجتمع منها ،

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خطب رسول الله صلى الله عليه سلم(**زينب بنت جحش**) لزيد بن حارثة رضي الله عنه فاستنكفت منه، وقالت: أنا خير منه حَسَباً، وكانت امرأة فيها حِدَّة، فأنزل الله تعالى﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا** ﴾.[الأحزاب:٣٦] ، وبعد نزول هذه الآية الكريمة قالت زينب رضي الله عنها للرسول صلى الله عليه وسلم: قد أطعتك فاصنع ما شئت، وهذه الطاعة من كمال محبته الواجبة على كل مؤمن ومؤمنة، فَزَوَّجَهَا زيدَ بْنَ حَارِثَةَ رضي الله عنه الذي دخل بها وهو فَرِحٌ مَسْرُورٌ حيث تَزَوَّجَ الْهَاشِمِيَّةَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ ، ولكنه أخذ يلقى منها المتاعب، وكانت تُغْلِظُ له في القول وتترفع عليه بشرفها وحسبها حتى عَافَتْهَا نفسُه ، وضَجِرَ منها، فذهب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم شاكياً منها وطالباً موافقة النبي على طلاقها. فقال له الرسول محمد صلى الله عليه وسلم:((**أمسك عليك زوجك واتق الله**))• قال الرسول صلى الله عليه وسلم هذا وهو يعلم أنه لا بُدَّ له من طلاقها ومفارقتها حيث أوحى الله إليه بذلك وأخبره بنهايتها مع زيد ومن ثَمَّ سوف يأمر الله نبيَّه محمداً صلى الله عليه وسلم بالتزوج بها بعد طلاق زيد لها إبطالاً لعادة التَّبنِّي والأمور المتعلقة بها ، لأن امرأة المُتَبَنَّى في الجاهلية لا يجوز أن يتزوجها الرجل الذي اتخذ زوجها ابناً له ، فحكمه عندهم مثل حكم الولد الحقيقي الشرعي ، والرسول محمد صلى الله عليه سلم قد اتَّخَذَ زيداً ابناً له على عادتهم وزَوَّجَهُ من قريبته زينب ثم افترقا، فأمر الله رسوله بتزوج زينب من بعد طلاقها من زيد ليبطل حكم الجاهلية ويؤسس حكم الإسلام وليكون الرسول محمد هو القدوة في ذلك الأمر المتأصل في النفوس وعظيم الوقع على القلوب مما يقوله المنافقون والمغرضون وأعداء

الإسلام. وقبل التلميح لمعنى الآيات والحكمة من هذا الزواج أورد قصة زيد وتبني الرسول له ، وتفضيل زيد للرسول على والده وذويه حين خَيَّرَهُ الرسولُ صلى الله عليه وسلم بين أن يبقى عنده أو يلحق بوالده وأهله .

روى ابن عباس رضي الله عنهما أن زيداً كان في أخواله بني مَعْن من بني ثعل من طَيٍّ، فَأُصِيبَ في نَهْبٍ ، وجِيءَ به إلى سوق عكاظ ، وانطلق حكيم بن حزام بن خويلد إلى عكاظ يتسوق بها ، وكانت عمته خديجة بنت خويلد قد أوصته أن يشتري لها غلاماً عربياً إن وجده ، فلما قدم حكيمٌ سوقَ عكاظ وجد زيداً يُبَاعُ فيها ، فأعجبه ظَرْفُهُ وأدبُه فابتاعه (اشتراه) ، وقدم به على عمته خديجة وقال لها: إني ابْتَعْتُ الغلامَ الذي أوصيتني به فإن أعجبك فخذيه وإلا فدعيه لي فإنه قد أعجبني ، فأخذته خديجة ، ثم تزوجها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وهو عندها ، فأعجب الرسولَ صلى الله عليه وسلم ظرفُه وأدبُه ، فاسْتَوْهَبَهَا إِيَّاهُ ، قالت: أَهَبُهُ لك على أن الولاء لي إنْ أُعْتِقَ ، فأبى الرسول صلى الله عليه وسلم قبوله على هذا، فوهبته له إن شاء أعتق وإن شاء أمسك والولاء له، فَشَبَّ عند الرسول صلى الله عليه وسلم يخدمه ويذهب في حاجته إلى الأسواق، ثم إنه خرج مرة في إبل لأبي طالب بأرض الشام فَمَرَّ بأرض قومه، فعرفه عَمُّهُ فقام إليه ،فقال: من أنت يا غلام ؟ قال: غلام من أهل مكة ، قال: مِنْ أَنْفَسِهِمْ ؟ قال: لا .قال: فَحُرٌّ أنت أم مملوك ؟ قال: بل مملوك ، قال: لمن؟ قال: لمحمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، فقال له: أعربي أنت أم عجمي؟ قال: عربي ، قال ممن أصلك ؟ قال: من كلب ، قال:من أي كلب ؟ قال:من بني عبد وُدّ ، قال: ويحك ، ابن من أنت ؟ قال: ابن حارثة بن شراحيل ، قال: وأين أصبت ؟ قال: في أخوالي ، قال ومن أخوالك؟ قال: طيّ ، قال:ما اسم أمك ؟ قال: سعدى ، فالتزمه ،

وقال: أنت ابن حارثة ، ودعا أباه، فقال: يا حارثة هذا ابنك ، فأتاه فلما نظر إليه عرفه،قال:كيف صنع مولاك إليك؟ قال يؤثرني على أهله وولده، فركب معه أبوه وعمه وأخوه وقدموا مكة، فَلَقُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له حارثة: يا محمد أنتم أهل حرم الله وجيرانه وعند بيته تَفُكُّونَ العاني وتطعمون الأسير ، ابني عندك فَامْنُنْ علينا وأحسن إلينا في فدائه فإنه ابن سيد قومه وإنا لنرفع إليك في الفداء ما أحببت ــ وهذا كان قبل البعثة ــ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أعطيكم خيراً من ذلك ، قالوا: وما هو ؟ فقال: أُخيِّره فإن اختاركم فخذوه بغير فداء ، وإن اختارني فكُفُّوا عنه، فقالوا:جزاك الله خيراً لقد أحسنت ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا زيد أتعرف هؤلاء ؟ قال:نعم؟، هذا أبي وهذا عمي وهذا أخي ، فقال صلى الله عليه وسلم:هم من قد عرفتهم ، فإن اخترتهم فاذهب معهم وإن اخترتني فأنا من تعلم، فقال زيد: ما أنا بمختار عليك أحداً أبداً ، أنت مني بمكان الأب والعم، قال أبوه وعمه:يا زيد أتختار العبودية ؟ قال:ما أنا بمفارق هذا الرجل ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم حرصه عليه قال:((**اشهدوا أنه حُرٌّ وأنه ابني يَرِثُني وأَرِثُهُ**)) فطابت نفس أبيه وعمه لما رأوا من كرامة زيد على الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم انصرفوا تاركين زيداً عند الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، ومكث زيد يُدعى زيد بن محمد طوال بقائه مع الرسول صلى الله عليه وسلم حتى نزل قول الله تعالى : ﴿ **ٱدْعُوهُمْ لِأَبَآئِهِمْ** ﴾ [الأحزاب:٥] فَدُعِيَ زيد بن حارثة .روى البخاري ومسلم وغيرهما رحمهم الله تعالى عن ابن عمر رضي الله عنهما أن زيد بن حارثة رضي الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه سلم ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن : ﴿ **ٱدْعُوهُمْ لِأَبَآئِهِمْ** ﴾ فقال النبي صلى الله عليه وسلم:((**أنت**

زيد بن حارثة بن شراحيل))، قال الله جل جلاله :((وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ۝ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝))[الأحزاب:٤، ٥]. بعد هذا الأمر الإلهي تألَّم قلبُ زيد لهذا النبأ وأحَسَّ بالغربة والوحشة حيث كان ينتسب إلى أكرم مخلوق وأشرف مبعوث وأحسب العرب وأعلاهم نسباً، إذا به يؤمر بأن يرجع إلى نسبه الأول، فما كان محمد صلى الله عليه وسلم أبا أحدٍ من الرجال ولكنه رسول الله وخاتم النبيين ، فلما علم الرسول بحالة زيد النفسية زوجه ابنة عمته الشريفة الحسيبة ليجبر خاطره وليعلم الناس أن الكفاءة للزواج إنما هي التقوى ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[الحجرات:١٣]، ولكن الله تعالى أعلم رسوله بالأمر، وأنه سيبطل عادة التبني وسيكون الرسول هو الْمُنَفِّذ لهذا الأمر وأن زيداً سوف يطلّق زوجته زينب بنت جحش وأن الرسول سيتزوجها من بعده، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم تردد في هذا الأمر وعَظُمَ عليه وقْعُهُ فاحتفظ به لنفسه وخشي من إرجاف المنافقين واليهود والمشركين عامة وأنهم سيقولون تزوج محمد زوجة ابنه بعد نهيه عن حلائل الأبناء ، مع أن الله تعالى بين في آية التحريم أنه الابن من الصلب لِيُحْتَرَزَ من الابن الدَّعِيِّ، قال تعالى: ﴿ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ ﴾ [النساء:٢٣] ثم أنزل الله على نبيه قرآناً يتلى إلى يوم القيامة وبين أن الله هو الذي تولى تزويجها له من فوق سبع سماوات وأن سبب ذلك لئلا يكون على أي مؤمن حرج متى أراد الزواج من زوجة ابنه الدعي بعد أن يطلقها ، وأن هذا الأمر قد قدره الله تعالى فهو كائن لا محالة ، ثم أعقب ذلك بآيات واضحات بأنه ليس على

رسول الله حرج فيما فرض الله له ، وهذه سنة الله في الأنبياء قبله من حيث أنواع الابتلاء والامتحان، وعليه أن يبلغ الرسالة ولا يخشى أحداً إلا الله تعالى ، ثم بين عز وجل بأن الرسول محمداً ليس أباً لأحد من الرجال ولكن رسول الله وخاتم النبيين، ولنتأمل هذه الآيات التي توضح زواج زينب رضي الله عنها من زيد وفراقهما وزواجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم والسبب في ذلك والنتائج ، كان هذا في آيات متتاليات ما عدا النهي عن دعوة الموالي ونسبتهم لغير آبائهم فكانت في بداية سورة الأحزاب نهي لجميع المسلمين عن ذلك مع أنه ورد التأكيد على المنع والنهي في آخر آية من الآيات التالي ذكرها من السورة نفسها بذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الموقف لمناسبة الآيات وترابطها من جميع الوجوه، قال الله تعالى:((وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾))[الأحزاب:٣٦-٤٠]٠روى البخاري رحمه الله عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:((إن زينب بنت جحش رضي الله عنها كانت تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فتقول:زوجكن أهاليكن، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات)). وذلك أن الله تعالى أوحى إليه بأن يدخل

عليها بلا ولي ولا عقد ولا مهر ولا شهود من البشر وقد بين الله الحكمة من ذلك في هذه الآيات وفي آيات أُخرى .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:((لما انقضت عدة زينب رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة:((**اذهب فاذكرها علي**)) فانطلق حتى أتاها وهي تخمر عجينه ، قال فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها وأقول:إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها، فوليتها ظهري ونكصت على عقبي ، وقلت:يا زينب أبشري أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك ، قالت:ما أنا بصانعة شيء حتى أُؤَامِرَ ربي عز وجل ، فقامت إلى مسجدها. ونزل القرآن ، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير إذن)).

رواه مسلم، قال أنس رضي الله عنه:**[ولقد رأيتنا حين دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأطعمنا عليها الخبز واللحم، فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتبعته فجعل صلى الله عليه وسلم يتتبع حجر نسائه يسلم عليهن ويَقُلْنَ : يا رسول الله كيف وجدت أهلك؟ فما أدري أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أو أُخْبِرَ ، فانطلق حتى دخل البيت فذهبت أدخل معه ، فألقى الستر بيني وبينه ونزل الحجاب وَوُعِظَ القومُ بما وُعِظُوا به]**، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ

ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأحزاب:٥٣، ٥٤] .

زواج زينب بنت جحش رضي الله عنها

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى أحمده سبحانه وبحمده وأشكره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله ، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه .

أما بعد: فمما سبق عَلِمْنَا أن زيد بن حارثة رضي الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يُدْعَى إلا زيد بن محمد حتى نزول قول الله تعالى: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِـَٔابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾[الأحزاب:٥] وقد كانوا يعاملون المتبنى معاملة الأبناء من كل وجه في الخلوة بالمحارم والميراث وغير ذلك ، فلما أبطل الله هذه العادة والحكم الجاهلي بالتحريم أباح الزواج من زوجة الدَّعِيِّ لأي شخص من المسلمين ، أما بالنسبة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم فلم يَكُنْ هذا النوع من الزواج مجرد إباحة فقط بل هو إِلْزَامٌ وفَرْضٌ من الله جلَّ جلالُه وَبِوَحْيٍ منه سبحانه في قرآن يُتْلَى إلى يوم القيامة أَمْرٌ وفَرْضٌ على النبي محمد صلى الله عليه وسلم بالزواج من زينب بنت جحش رضي الله عنها مُطَلَّقَةِ زيد بن حارثة رضي الله عنه بعد أن قضى زيد منها وطراً ليبين للأمة عدم الحرج في الزواج من زوجة الدَّعِيِّ ، وكان التطبيق العملي لإبطال التبني مع الزواج أيضاً من زوجة الْمُتَبَنَّى وإبطال المفاخرة بالأنساب مما كان من زواج الهاشمية القرشية للمولى ، وبعد طلاقها تزوجت بأرفع الناس مكانة وحسباً ونسباً وأكرمهم خُلُقاً

ودِيناً ، كان ذلك التطبيق على شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرغم من وقعه الأليم والحرج الشديد ونظرته الثاقبة لما سوف يتعرض له في قادم الأيام من أول ساعة لحصوله إلى أن تقوم الساعة حيث إثارة المنافقين وأعداء الإسلام للتشكيك في مسار هذا الزواج والنيل من عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أن جميع خطواته من إبطال التبني وتحريم انتساب معلوم النسب لغير أبيه وزواج زينب من زيد ومفارقته لها وتزويجها لرسول الله والامتحان الصعب له مع التأكيد بأنه ليس أباً لأحد من الرجال ولكنه خاتم الأنبياء والمرسلين ، كل هذه المراحل والخطوات جاءت في القرآن الكريم في آيات واضحات الدلالة مع ذكر الأسماء في المكان المناسب في سورة الأحزاب وفي الأحاديث الصحيحة، هذا التشكيك والحملة الشرسة في ذلك الزواج كان الرد عليه في آيات محكمة، مع أن نهاية الآية التي توضح السبب من وراء ذلك الزواج كان فيها الجواب الشافي الوافي الكافي الذي يَرُدُّ على أيِّ شبهة تدور في ذهن وعقل أي شخص وتُسْكِتُ أَيَّ مُشَكِّك وتُخْرِسُ لسانَه وتَنْسِفُ تَشْكِيكَهُ وشُبْهَتَهُ ، وأذكر الآيات لتطمئنَّ النفوسُ المؤمنةُ وترتاح بكلام الله العليم الحكيم، قال الله تبارك وتعالى:((وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ

﴿أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الأحزاب:٣٦ـــ٤٠].وقد رفع الله الحرج عن المؤمنين عندما يريدون الزواج من زوجة الدعي ونبه على ذلك بقوله جل وعلا : ﴿زَوَّجْنَـٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ﴾ [الأحزاب:٣٧]، كما نبه تعالى في آية تحريم حلائل الأبناء بأن الابن هو الذي من صلب الرجل احترازاً من الابن الدعي،قال تعالى: ﴿وَحَلَـٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَـٰبِكُمْ﴾[النساء:٢٣]. ونسمع الآن أن بعض المسلمين يأخذ أحدُهم أولادَ غيرِه ذكوراً أو إناثاً ويربيهم وينسبهم إليه ، أو يلتقط لقيطاً من أولاد الزنا، أو يأخذهم من دور الرعاية الاجتماعية ويقوم على تربيتهم وينسبهم لنفسه ويعتبرهم أولاده ، وهذا منكر عظيم من حيث الانتساب إليه واعتبار الولد الدّعيّ ولداً له سواء كان ذكراً أو أنثى ، لأن ذلك يترتب عليه أحكام شرعية ، وهذا لا يجوز قطعاً ، وعلى من وقع فيه أن يتوبَ إلى الله ويُخَلِّصَ نفسه منه ويحذر غيره من الوقوع في مثل ذلك، أما من ناحية أَخْذِهِمْ وتربيتهم والإحسان إليهم من غير انتساب إلى الشخص بل معاملتهم مثل الأجانب من غير المحارم فهذا لا بأس به ، بل جاء الترغيب في كفالة الأيتام في القرآن والسنة، وهذا يحتاج لخطبة كاملة، ويكفينا هنا الحديث الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين**))، مع الأخذ في الاعتبار معرفة وعلم وتطبيق حدود الله في ذلك وعدم تجاوزها من حيث الخلوة بالمحارم إن كان ذَكَراً لأنه ليس محرماً لقريبات هذا الذي قام بتربيته إلا إن كان هناك رضاع في الحولين خمس رضعات فأكثر، وكذلك الأنثى ليس الرجلُ المحسنُ لليتيمة ولا أبناؤُهُ مَحَارِمَ لَهَا إلاَّ بالرضاع الْمُحَرِّمِ ، وهذا الرضاع المحرم لا يكون إلا لأبنائه فقط ، إلا إن كان اليتيم من أقارب

الرجل أو المرأة ففارق المحرمية للجميع معروف لا إشكال فيه ، وكذا الميراث والزواج وغير ذلك من الأمور وخاصة في الأدعياء، وعلى من علم أنه ينتسب إلى غير أبيه أن يبادر بالتوبة النصوح ويتخلى عن ذلك ، فقد ورد في الحديث المتفق عليه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: ((**ليس من رجل ادعى إلى غير أبيه وهو يعلمه إلا كفر**)).قال الله تعالى: ﴿**وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّـٰٓـِٔى تُظَـٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَـٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ۝٤ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَـٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٥**﴾[الأحزاب:٤ ،٥].ويجب معرفة الفرق بين كفالة الأيتام عموماً والإحسان إليهم وبين التَّبَنِّي وانتساب الْمُتَبَنَّى للشخص ، وقد كررت هذا حتى لا يُفْهَمَ أو يُنْقَلَ عني خلافُ ما أقصده، وفي هذا التوضيح كفاية لمن التبس عليه الأمر، قال تعالى:((**إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۝٣٧**))[ق:٣٧] ٠وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله ٠